النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

معركة الجزائر ((الفكرية))

تستمر رحى « معركة الجزائر » في اوساط الاحرار من المثقفين الفرنسيين ، وتزداد حدة الحرب الجزائرية التي لم تضعف لحظة ، والتي كان الاستعماريون وما يزالون يرجون ان تنتهي بانتصار القوات الفرنسية.

وكانت هذه الاوساط الحرة قد امتلأت املا بمجيء الجنرال ديغول الى الحكم ، اذ كانت تعلق عليه امنية العمل على انهاء الحرب الجزائرية والاعتراف باستقلال الجزائر والتفاوض مع جبهة التحرير الوطنية على هذا الاساس . ولكن هذه الاوساط فقدت كل آمالها الان ، اذ تكشف الجنرال ديغول عن عقلية لا تقل في نزعتها الاستعمارية عن اية عقلية رجعية حكمت فرنسا حتى الان . ولا يخفي عدد من المفكرين الاحرار هذه الخيبة ، بل يجاهر بها وينفض يده من ديغول ويعلن ان رئيس الجمهورية الحالي يسير بالجمهورية في طريق الهلاك .

وكان الكاتب المعروف فرانسوا مورياك قد وقف في الماضي مواقف

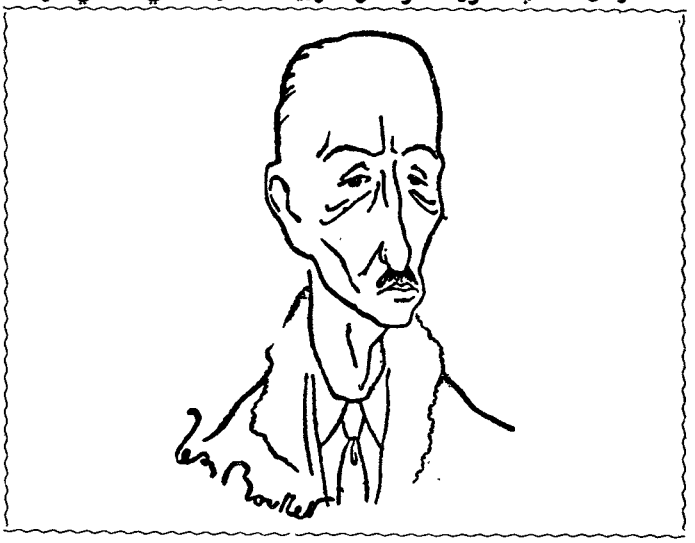

محمودة من قضية الحرب الجزائرية ودعا مرارا الى وضع حد لها ، وعبر عن امله في ان يستطيع ديغول ان ينهيها . غير ان ثقته برئيس جمهوريته كانت ولا تزال اكبر مما ينبغي ، وهذا ما جعل موقفه الاخير مترجرجا غير واضح ، بل يبدو انه تراجع عن بعض افكاره التحررية واصبح يلتمس المبررات لاستمرار حرب الجزائر. وقد أثار هذا الموقف المترجرج كاتبا حرا كان دائما يشجب استمرار تلك الحرب ويدعو الى الاعتراف بالشخصية الجزائرية ، وهو « كلود بورديه » رئيس تحرير مجلة « فرانس اوبسرفاتوار » .

وقد تحدث بورديه في مقال له نشر بالعدد ٤٧٨ من مجلته عن « الديغولية » وتطورها بصدد الرد على مقال لفرنسوا مورياك نشر اخيرا في مجلة « اكسبريس » ، فقال بورديه ان ثمانين بالمئة من الفرنسيين انضموا في الصيف الماضي الى الديغولية ثقة منهم بانها ستنقذ فرنسا.

اما اليوم « فان المعنى الدقيق للديغولية يزداد وضوحا كل يوم بالنسبة لكل فرنسي . فان الانسان ديغولي اكثر فاكثر كلما ازداد تأييدا لحرب الجزائر ، ولتعذيب الجزائريين ، ولانحطاط بعض الشعوب ولعدم تساوي بعض الطبقات ، وكلما ازداد ايمانا بان الحرب ظاهرة تاريخية لا يمكن تجنبها ،اي كلما كان منتميا الى اليمين . »

ثم عرض بورديه لمقال مورياك الذي عبر فيه عن الاضطراب الشديد الذي استولى عليه بعض قراءة كتاب « الغنغرينا » La Gangrène فقال بورديه : « لقد اصيب مورياك باضطراب لدى قراءة هذا الكتاب الذي يتحدث عن التعذيب ، هذا التعذيب الذي يمتد من الجزائر حتى يبلغ الان الارض الفرنسية حيث يعذب بعض الجزائريين في سجن قريب من قصر « الاليزيه » ولكن المقال الذي يعرض فيه عواطفه هو من الغرابة بحيث نعتقد ان نوعا آخر من الغنغرينا يصيب مورياك نفسه ... فماذا يقول عن ذلك التعذيب ؟ انه لا ينكره .. ولكنه يشرح .. واية شروح هي! فهو يعتقد ان التعذيب هو مرض العصر ، عصر ارهاب وارهاب معاكس ... وهذه القدرية هي قدرية اليمين من غير شك .. ويتابع مورياك بان التعذيب « يستمر كالسابق » كان الاستمرار في رأيه نوع من العذر والتبرير ، هو ينسى ان الحكومات السابقة كانت حكومات ضعيفة تجاه الجيش والبوليس ، وان الحكومة الحالية هي حكومة قوية ... ثم ان التعذيب قد انتشر ولا يزال يشيع في فرنسا تحت حكم الجنرال ديغول ، من غير ان يضعف في الجزائر نفسها . فحتى لو فرضنا ان هذا العهد لا يقل ضعفا عن العهود الماضية تجاه السلطة التي يمارسها الجيش والبوليس في الجزائر ، فان ما يحدث في فرنسا نفسها يتعلق مباشرة به، والوزراء هم المسؤولون المباشرون عن كل تعذيب ، وعن كل صحة الم. ولان مورياك يريد ان يخلي الحكومة من اية مسؤولية ، فانه يربط حتمية التعذيب بقوة آلته : البوليس . البوليس الذي تحول الى كائن مستقل ، والى تجسد عضوي ضروري لا سبيل الى تفاديه ، كقوة الهية قدرية ... والاغرب انه يتوجه الى هذا البوليس المؤله لينبعث من وسطه شرطي بطل يهدم التعذيب ! فالى اي حد من عدم التفهم يمكن للرغبة المهووسة برفض الوقائع ان تقود كاتبا كبيرا ! ان التعذيب لا يمكن ان يزول ما دامت الحكومة تواجهه بالتغاضي والصمت ، وما دامت تكم افواه الذين يرسلون اشارات الخطر والاحتجاج ، وما دام هذا العهد يعتقد مثل مورياك بان التعذيب شيء قدري حتمي ! ولكن ما معنى احتجاجك السابق ، يا سيد مورياك ، على الفستابو حين كنت تقول « ان عهدا من الارهاب المعاكس هو عهد تعذيب ! » ولماذا كنت تحارب ضد اعمال تكتفي اليوم بشرحها وتبريرها ؟ »

وينهي بورديه مقاله بان يوجه الى مورياك هذه العبارات :

« انك تدخل معسكر اليمين ، وتتبنى انفعالاته ، وتقع في شرك منطقه. ولكني لا اود ان اصدق ذلك . فقد تداركت نفسك مرات عديدة ، اذ انتزعك حب العدل والحق من هذا الميل الذي حدا بك في الماضي الى « الشرح » و « التسامح » و « التبرير » . ان الوهم يتمزق الان في كل مكان ، فهل تظل اخر من يغذيه ؟ ان امامك فرصة وحيدة للمساعدة

على تفادي الاسوأ ، بدلا من ان تجعله اكثر امكانية للتحقق فيما انت تحذر الرأي العام . وهذه الفرصة هي في ان تكف عن الاهتمام بتبرير الجنرال ديغول . قل الحقيقة . »

مفكر حر آخر ...

هذا مظهر من مظاهر المعركة الفكرية التي يقودها بعض المفكرين الاحرار في فرنسا ، والذين تعلق الامال عليهم اكثر مما تعلق على ديغول وطغمته من الوزراء في ايجاد حل عادل للقضية الجزائرية . وهناك مفكر اخر هو جان جاك سرفان شرايبر رئيس تحرير مجلة « اكسبريس » يعبر هو ايضا عن رأي الحق والعدل في جريدته ، ويجابه قوى رجعية شريرة في كل يوم ، ويجمع حوله جماعة من المتحررين الذين لا يرون في حرب الجزائر الا طعنة للضمير الانساني والعدالة الحقة . وقد اصيب شرايبر في اجتماع اخير عقده « الاتحاد الوطني لمحاربي الجزائر القدماء » في مدينة ليون بعدة جروح اذ هاجمه عدد من الرجعيين الذين ينتمون الى حركات اليمين بالعصي واللكمات مع فريق من مؤيديه ، فنجحوا في تعطيل الاجتماع ، ولكنهم لم ينجحوا في حمل شرايبر وزملائه على التراجع عن موقفهم الشريف ، فدعوا الى عقد اجتماعات اخرى قرروا ان يقابلوا فيها القوة بالقوة .

كتاب « التعفن » ...

اما كتاب « الغنغرينا » (اي التعفن) فهو الكتاب الثاني الذي صادره البوليس الفرنسي بعد كتاب « الجلادون » الذي صودر منذ اشهر(1). ولكن خمسة الاف نسخة من الكتاب كانت قد وزعت حين بدأ البوليس بمصادرته ، فانتشر مضمونه في الاوساط ، وهو مجموعة وثائق واعترافات قدمها خمسة من الجزائريين اصابوا الوانا عجيبة من التعذيب في احد سجون باريس . وقد زعم امر المصادرة بان هذه الوثائق كاذبة وقد اخترعها كاتبان شيوعيان .

الاتحاد السوفياتي

معارضة اهرنبورغ البناءة ...

نشرت مجلة « ليتراتورنايا غازيتا » في عددها الصادر في ٩ حزيران الماضي مقابلة مع الكاتب الكبير ايليا اهرنبورغ . وهذا الامر وحده ذو مغزى ، بعد مؤتمر الكتاب السوفيات الذي عقد منذ شهر في موسكو ، ذلك ان هذه المجلة كفت منذ عامين او ثلاثة عن التحدث عن اهرنبورغ ، الا لتنتقد انحرافاته عن الخط الرسمي للادب السوفياتي !

وقد عني ايليا اهرنبورغ في هذا الحديث الصحفي عناية كبيرة بوضع « النقاط على الحروف » . فقد سأله الصحفي عن مشاريعه فأجاب :

« لم اجد في مجلة « ليتراتورنايا غازيتا » ولا في اي من المجلات والنشرات الاخرى مقالا واحدا مخصصا لاحد مؤلفاتي الاخيرة . ولست اقول ذلك في معرض الشكوى ، فانا لا ازعم ان ما اكتبه ذو اهمية خاصة وان من الضروري التحدث عنه في الصحف . كل ما في الامر اني اجهد لاكون منطقيا . فاذا كان جلد الدببة التي قتلت لاتسترعي انتباه نقادنا ـ فما جدوى التحدث عن جلود الدببة التي لم تقتل بعد ؟ »

ومن جهة اخرى ، يبدي اهرنبورغ مزيدا من العداء للكونفورميزم . فبينما يحرص خروتشيف في خطابه « المتساهل » بمؤتمر الكتاب السوفيات على ضرورة التمييز الذي تؤمن به الواقعية الاشتراكية بين شخصيات الروايات « الايجابيين » و « السلبيين » نرى اهرنبورغ يطرح هذه الفكرة ويتساءل : « اتكون انا كارنينا بطلة ايجابية ؟ لقد كان تولستوي يحبها ولكنه لا يعتبرها مثالية . او يكون جوليان سورال بطلا سلبيا ؟ لقد كشف ستاندال عن مساوئه العميقة ، ولكنه كان مع ذلك يكن له حبا عميقا لا يحاول ان يخيفه ... » ان على الكاتب ان يبرز اشخاصه « كما هم في خطوطهم الايجابية والسلبية »

وهكذا لا يبدو ايليا اهرنبورغ كبطل « للمعارضة البناءة » فحسب بالنسبة للادب السوفياتي ، بل هو بهذه التصريحات التي ادلى بها لمجلة « ليتراتورنايا غازيتا » يثبت بان النزعة التي يتزعمها قد نالت الان حق التعبير عن نفسها . ولا ريب في اننا سنعرف عن قريب الى حد يستطيع ذلك .

انكلترا

نجم بين التألق والانطفاء ...

لم يعرف كاتب انكليزي معاصر شهرة سريعة متألقة كالتي عرفها جون اوسبورن John Osborne . فمنذ ثلاثة اعوام فقط ، لم يكن اكثر من ممثل عادي في السادسة والعشرين من عمره ، يبحث عن طابع شخصي له من غير ان يجده . وفجأة اصبح بين ليلة وضحاها مشهورا وغنيا الى ابعد مما كان يحلم بعد تقديم مسرحيته الكوميدية المريرة في المسرح الملكي . وقد اصبح بطل Look Back in anger هذه المسرحية المنتقمة ، واسمه جيمي بورتر ، رمزا للجيل الفتي من « المتمردين بلا سبب . »

وبعد ذلك بعام ، كان اوسبورن يجدد انتصاره برواية The Entertainer الذي كان بطلها ممثلا هزليا (قام بتمثيل دوره ببراعة السر لورانس اوليفيه) لا يختلف عن بطل الرواية السابقة الا بان السن والخمر والانحراف قد اضرت به ضررا كبيرا. وفي السنة الماضية ظهر ان مسرحيته Epitaph for George Dillon ذات قماشة مماثلة : فالبطل الرئيسي الذي يؤثره المؤلف بحبه دون ريب هو انسان غريب شاذ شديد الانانية. يستغل بلاهم الود الذي يوحيه للناس .

وقد اظهر المؤلف في هذه الروايات الثلاث موهبة نادرة في الحوار ، ولكن تشابه المسرحيات وضعف الحركة الدرامائية فيها يوحيان بعض التحفظ قبل الحكم على اوسبورن بانه اكبر كاتب درامائي في جيله .

وكأنما اراد ان يؤكد مخاوف المعجبين به ومآخذ نقاده ، فقدم اخيرا في لندن مسرحيته الانتقادية الجديدة « عالم بول سليكي The world of Paul Slicky ومع ذلك ، فقد ضمنها المؤلف فنا بارعا في انتقاد تبذل بعض الصحف ذات الانتشار الواسع التي تستغل اعصاب القراء وميولهم الى الفضائح والى « الاخبار المثيرة » ، واشرك في روايته موسيقيا كبيرا ومهندسا معروفا وموزعا مشهورا ساهموا جميعا في الرواية . ولكن بالرغم من ذلك ، ومن دعاية واسعة ، سقطت هذه المسرحية الاوبريت ،

(1) صدر بالعربية عن « دار الاداب » ترجمة عايدة وسهيل ادريس

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الشمالي

نحو سياسة التعليم الصناعي

لمراسل الاداب في دمشق

*

حين جلا العثمانيون عن هذه البلاد وكانت في امس الحاجة الى التنظيم وتأكيد شيئين : ١ ـ عروبتها ـ ٢ ـ ارادة العيش المشترك بين ابنائها على مختلف نزعاتهم . لذلك عمل المسؤولون على انشاء مدارس .. مدارس من كل نمط ولون ...

لم يكن يهم كيف تكون هذه المدارس بمقدار مايهم ان يكون في كل منطقة مدرسة . وقد سارت اكثر الحكومات على هذه السياسة حتى كان في الاقليم الشمالي عام الجلاء « ١٩٤٥ » مايقرب من ثمانين مدرسة وبعد الجلاء .. ايام الحكم الوطني رغم الاضطرابات والهزات التي عانتها البلاد من انقلابات وتضارب الاحزاب فقد اضطرت كل الحكومات المتعاقبة تحت ضغط الاهالي ان تسير على سياسة التوسع في التعليم حتى صار عدد المدارس الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ « ٢١٢ » مدرسة وقفز هذا العدد الى ٢٨٦ مدرسة ثانية في سنة ١٩٥٨ . وقد رافق هذا النمو العددي في التعليم الثانوي نمو عددي اخر في التعليم الجامعي ففقز عدد طلاب الجامعة من ٢٤٢٤ طالبا سنة ١٩٤٨ الى ٤٩٨٥ طالبا سنة ١٩٥٤ .

وكانت حاجة البلاد الى الموظفين اهم اسباب انشاء الجامعة فقد اسست كلية الطب وكلية الحقوق اولا ثم كليتا الاداب والعلوم لاعداد مدرسي التعليم الثانوي ، وكانت غاية التعليم الثانوي تنشئة طبقة متعلمة تصلح للوظائف الصغيرة واعداد هذه الطبقة للدراسات العالية . واتسع التعليم الثانوي والجامعي ذلك الاتساع الهائل وتطورت البلاد وتطورت حاجاتها وتطور المجتمع ومع ذلك فلم تتطور اهداف التعليم ولا مناهجه ولا برامجه لتتلاءم وشروط الحياة الجديدة .. فما يزال التعليم النظري طاغيا اذ ان المدرسة الثانوية لا تعرف الا فرعين من فروع التعليم : ادبي وعلمي .. لقد حصل في لمنهاج اكثر من اربع تعديلات في السنوات الثلاث الماضية ومع ذلك لم تتحسن السياسة التربوية لان كل التعديلات السابقة هي ترميم لنظام عتيق بال . فالدولة قد اخذت فوق كفايتها من الموظفين بل استطيع ان اجزم بان وضع حملة الشهادات قد اخذ يشكل ازمة، فهم يتزايدون كل عام بينما تقل امكانيات التوظيف بشكل ظاهر . وقد اصبح وضع الطبقة المتوسطة التي تحترم العلم وتطمح الى رفع مستوى ابنائها ، وضعا محرجا تجاه سياسة التعليم النظري ، فانت ترى الطالب يائسا قبل ان يدخل الجامعة . انه يتساءل : ليس امامي سوى الاداب والحقوق فايهما اجدى ؟ والحق ان مستقبله في كف عفريت .

اما اذا كان من الفرع العلمي فليس امامه سوى الطب او كلية العلوم.. وهذه الاخيرة انشئت لتخريج اساتذة علوم الا ان حاجات المجتمع المتزايد قد افسحت لطلابها فرصا ذهبية واتاحت لهم ان يخدموا بلادهم في مختلف الحقول العلمية البسيطة .. ومن ان اتجاه الطلاب الثانويين يميل اكثره نحو الفرع العلمي ومع ان حاجة البلاد تشتد اليهم فان كلية العلوم لم تتوسع ولم تتجاوب مع هذه الموجة الطاغية بل ان موقفها من امال الجيل الطالع ومن متطلبات التطور الصناعي لموقف يدعو الى الاسف ولا يقع اكثر العبء في ذلك الا على ميزانيتها الضئيلة التي اضطرت المسؤولين ـ حرصا على مستوى التعليم فيها ـ ان يسدوا الابواب في وجوه الطلاب بان يرفعوا معدل علامات القبول الى حدود عالية جدا . وهذا الحل ليس في صالح الكلية ولا غيرها ، في حين ان كلية الحقوق مثلا قد واجهت كثرة الطلاب بانشاء فروع حديثة فيها ، فاضيفت كلية التجارة الى كلية الحقوق وكلية التربية الى كلية الاداب . وعلى كل حال فان هذه الاجراءات لم تعد تحل اية مشكلة اذ ان المسؤولين لم يقدموا على قلب سياسة التعليم وتبني اهداف جديدة حتى الان .

يجب ان يكون الهدف الجديد للتربية والتعليم تخرج عمال اختصاصيين للمصانع والصناعات الحديثة والبدء بذلك منذ المرحلة المتوسطة بل والابتدائية . ان الاقليم الشمالي قد عرف مشاريع الخمس سنوات والسير حسب سياسة مخططة مرسومة ، بعد قيام الوحدة ، ونرجو ان يشمل التخطيط الصناعي الجديد مناهج التعليم ويكون البدء بانشاء مدارس متوسطة للصناعات منذ العام القادم على غرار مدارس « البوليتكنيك » في اوروبا ، كما يرفق ذلك باحداث كليات للكهرباء ، والميكانيك فنستغني عن ايفاد البعثات الى البلاد الاجنبية ونوفر على طلابنا غير المقبولين مشقة السفر على حسابهم الى البلاد الاجنبية ففي المانيا الغربية وحدها اكثر من خمسمائة طالب سوري في مختلف الفروع العلمية ، ولا نضيع جهود طلاب العلوم بتحويلهم الى كليتي الاداب او الحقوق بل نفسح المجال لامكانياتهم العملية كي تستفيد منهما بلادنا عوضا عن استيراد خبراء اجانب .

واجمع النقاد على تشييعها الى المقر الاخير ، وعلى انها مضجرة مملة طوال ثلاث ساعات .

ولما كان النجاح قد جعل من اوسبورن صبيا مدللا ، فقد قابل هذا النقد بروح سيئة جدا ، فراح يهاجم النقاد ويقول ان ليس فيهم واحد جدير بان يفهم مسرحيته، بل هاجم الحضور ايضا وقال ان هتافاتهم المعادية في الحفلة الاولى تدل على جهلهم وعدم فهمهم التام لعمله ..

ولكن « ليست هناك غيمة لا تحمل الفضة » كما يقول المثل البريطاني الذي يمكن تطبيقه هنا : فان الضجة التي قامت حول افلاس هذه المسرحية في الحفلات الاولى قد ايقظت فضول الجمهور ، فاذا هو يحاصر نوافذ التذاكر ويقبل اقبالا منقطع النظير على مشاهدة المسرحية التي تثير هذه الضجة كلها !